OPEN ACCESS
Received: 22 -05 -2024
Accepted: 19- 08-2024

الآداب
للدراسات اللغوية والأدبية

Problematic Concepts in Contemporary Thought: Terminological Concepts Describing Intercultural Communication Relations: Convergence and Divergence

Dr. Ridouane El Omari *
Elomaryredouan8@gmail.com

Dr. Hassan El Hammouchi**
Hassan.elhammouchi89@gmail.com

Abstract

This research aims to conduct a reading of certain terminological concepts derived from the word "culture" which are used to describe communication relationships between different cultures. It highlights points of convergence and divergence by examining the subtle differences distinguishing some terminological concepts from one another, such as acculturation, intercultural exchange, cultural representation, shared culture, intercultural overlap, and shared cultural heritage. It also sought to provide examples of these concepts and their manifestations, particularly focusing on the terms "shared culture" exemplified by the cultural relations between Morocco and Latin America, and "intercultural overlap" exemplified by the Arab-Persian relations. The research is divided into an introduction and four sections: the first section covers shared culture; the second section discusses acculturation and intercultural exchange; the third section addresses intercultural overlap; and the fourth section covers cultural representation. The research concluded that there is a diversity and multiplicity of terms used to describe human cultural relations due to the fluidity of the word "culture" whose meaning evolves with human development over time.

Keywords: Cultural commonality, Cultural Representation, Intercultural Exchange, Intercultural Overlap, Shared Culture.

* Ph.D. in Modern Literature and Comparative Literature, Ministry of National Education, Morocco.

** Ph.D. in Modern Criticism and Discourse Analysis, Ministry of National Education, Morocco.

Cite this article as: El Omari, Ridouane, & El Hammouchi, Hassan. (2024). Problematic Concepts in Contemporary Thought: Terminological Concepts Describing Intercultural Communication Relations: Convergence and Divergence, *Arts for Linguistic & Literary Studies*, *6*(4): 87 -104.

© This material is published under the license of Attribution 4.0 International (CC BY 4.0), which allows the user to copy and redistribute the material in any medium or format. It also allows adapting, transforming or adding to the material for any purpose, even commercially, as long as such modifications are highlighted and the material is credited to its author.

الآداب
للدراسات اللغوية والأدبية

OPEN ACCESS
تاريخ الاستلام: 2024/05/22م
تاريخ القبول: 2024/08/19م

مفاهيم إشكالية في الفكر المعاصر: مفاهيم المصطلحات التي تصف علاقات التواصل بين الثقافات: الالتقاء والاختلاف

د. رضوان العمري *
Elomaryredouan8@gmail.com

د. حسن الحموشي**
Hassan.elhammouchi89@gmail.com

ملخص:

سعى هذا البحث إلى القيام بقراءة في بعض المفاهيم الاصطلاحية المشتقة من كلمة "ثقافة"، التي تستعمل في وصف علاقات التواصل بين الثقافات المختلفة، وتبيان نقط الالتقاء والاختلاف فيما بينها، بالوقوف على الفروقات الدقيقة التي تميز بعض المفاهيم الاصطلاحية عن بعضها البعض، من قبيل التثاقف والمثاقفة، والتمثيل الثقافي، والمشترك الثقافي والتداخل الثقافي، والتراث الثقافي المشترك.. كما سعى إلى إعطاء أمثلة لأوجه هذه المفاهيم ومظاهرها، خاصة لمصطلحي المشترك الثقافي، الذي مثلنا له بحالة العلاقات الثقافية التي تجمع المغرب بأمريكا اللاتينية، واصطلاح التداخل الثقافي الذي مثلنا له بالعلاقات العربية والفارسية. وتم تقسيم هذا البحث إلى مقدمة وأربعة مباحث، المبحث الأول: المشترك الثقافي. المبحث الثاني: التثاقف والمثاقفة. المبحث الثالث: التداخل الثقافي. المبحث الرابع: التمثيل الثقافي، وتوصل البحث، إلى أن هناك تنوعا وتعددا في عدد المصطلحات التي تستخدم في وصف العلاقات الثقافية الإنسانية، نظرا لزئبقية كلمة "ثقافة" الذي يتطور معناه بتطور الإنسان مع مرور الزمن.

الكلمات المفاتيح: المشترك الثقافي، التمثيل الثقافي، المثاقفة، التداخل الثقافي، المقارنة.

---

* دكتوراه في الأدب الحديث والأدب المقارن - وزارة التربية الوطنية - المغرب.

** دكتوراه في النقد الحديث وتحليل الخطاب - وزارة التربية الوطنية – المغرب.

للاقتباس: العمري، رضوان، والحموشي، حسن. (2024). مفاهيم إشكالية في الفكر المعاصر: مفاهيم المصطلحات التي تصف علاقات التواصل بين الثقافات: الالتقاء والاختلاف، *الآداب للدراسات اللغوية والأدبية*، *6*(4): 87-104.

© نُشر هذا البحث وفقًا لشروط الرخصة Attribution 4.0 International (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أُجريت عليه.

(EISSN): 2708-5783 ISSN: 2707-5508
DOI:https://doi.org/10.53286/arts.v6i4.2177

المقدمة:

لقد تطور مفهوم الثقافة مع مرور الزمن، وعرفه العرب قديما في مؤلفاتهم بعدة معان، منها الحذقة والنباهة، وسرعة البديهة، كما ذُكر ذلك في لسان العرب: "... فلسان العرب يقول في المجلد العاشر: "يقال ثقف الشيء وهو سرعة التعلم"، ويقول ابن دريد: "ثقفت الشيء حذقته"، وفي حديث الهجرة: "هو غلام شاب لقن ثقف" [رواه البخاري]، أي ذو فطنة وذكاء، والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه". والعلامة فريد وجدي يقول في (دائرة معارف القرن العشرين/ المجلد الثاني): "ثقِف يثقف ثقافة: فطن وحذق، وثقف العلم في أسرع مدة أي أسرع أخذه، وثقفه يثقفه ثقفا: غلبه في الحذق، والثقيف: الحاذق الفطن... والقواميس الحديثة تقول: "ثقف ثقافة: صار حاذقا خفيفا، وثقف الكلام فهمه بسرعة" (ابن نبي، 1984، ص 19).

يحمل اصطلاح الثقافة الكثير من الدلالات، التي تستعمل في العديد من السياقات، ما كان يصعب من تحديد تعريف شامل له، بل هناك من تمنى لو أنه لم تظهر قط، كما هو الشأن مع رايموند ويليامز: يشيع الآن قدر كبير من التردد حول قيمة كلمة ثقافة. لقد قال رايمود وليامز ذات مرة: لا أعرف كم مرة تمنيت لو أنني لم أسمع بهذه الكلمة اللعينة" (بينيت، وغروسبيرغ، وميغان، 2010، ص225). ومنذ ظهور الأنثروبولوجيا، التي درست المجتمعات البدائية من أجل الكشف عن أصول الثقافة الإنسانية: "اهتمت الأنثروبولوجيا الثقافية Cultural Anthropology بمجموع التخصصات التي تدرس النواحي الاجتماعية والثقافية لحياة الإنسان. يدخل في ذلك الدراسات التي تتعلق بحياة الإنسان القديم أو حضارات ما قبل التاريخ، والتي يشار إليها بعلم الأركيولوجيا Archeology تتناول الأنثروبولوجيا الثقافية كذلك دراسة لغات الشعوب البدائية، واللهجات المحلية، والتأثيرات المتبادلة بين اللغة والثقافة بصفة عامة، وذلك في إطار ما يعرف بعلم اللغويات Linguistics. علاوة على ذلك، يوجد مجالان دراسيان آخران وهما الأثنولوجيا Ethnology، والأثنوغرافيا Ethnography، وبالرغم من التداخل بين المصطلحين، إلا أن مصطلح الأثنوغرافيا يعني الدراسة الوصفية لأسلوب الحياة ومجموعة التقاليد، والعادات، والقيم والأدوات والفنون، والمأثورات الشعبية لدى جماعة معينة، أو مجتمع معين خلال فترة زمنية محددة..." (فهيم، 1986، ص 14، 15). وبرزت عدة نظريات وتأويلات للثقافة، أدت إلى ظهور تيارات موضوعية وذاتية، ومدافعين عن الوحدة الثقافية، أي الثقافة الواحدة، وآخرين ينادون بالحفاظ على التنوع الثقافي من خلال احترام خصوصيات كل مجموعة بشرية.

واصل مفهوم الثقافة سيرورته التاريخية بين الفكريين الفرنسي والألماني خلال القرنيين التاسع عشر والعشرين حتى قام عالم الأنثروبولوجيا البريطاني إدوارد تايلور بتسليط الضوء على التعريف الاصطلاحي للثقافة من زاوية الإثنولوجيا:

"ذلك الكل الديناميكي المعقد الذي يشمل على المعارف والفنون والمعتقدات والقوانين والأخلاق والتقاليد والفلسفة والأديان والعادات التي اكتسبها الإنسان من مجتمعه بوصفه عضوا فيه" (Burnett, 1871, p 26).

كما أعطاها بعض الصفات والميزات من بينها أنها مكتسبة في اللاوعي البشري، وذات أبعاد اجتماعية، فيقول: " أنها تعبر عن كلية حياة الانسان الاجتماعية، وتتميز ببعدها الجماعي. والثقافة، أخيرا، مكتسبة ولا تأتي، إذن، من الوراثة البيولوجية. على أنها ولئن كانت مكتسبة فإن أصلها وخاصيتها لا واعيين إلى حد بعيد" (كوش، 2007، ص 31).

إن مفهوم الثقافة من المفاهيم التي يتطور معناها بتطور العمران البشري بتعبير ابن خلدون الذي قدم الثقافة في مقدمته الشهيرة على أنها العمران، الذي هو صنع الإنسان، ويقول في هذا المجال: إن الاجتماع الإنساني ضروري، ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم: أن الإنسان مدني بطبعه، أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدينة في اصطلاحهم، وهو معنى العمران (خواني، 2021، ص 82). وحمل مفهوم الثقافة لكل هذه الدلالات والمعاني أكسبه انسيابية كبيرة في توليد المفاهيم ذات الصلة بلفظ (ثقافي/ة) باعتبارها صفة مشتقة من كلمة "ثقافة"، أصبحنا نتحدث عن عشرات المفاهيم المركبة من اسم+ صفة "ثقافي"، من قبيل: مشترك ثقافي، وتبادل ثقافي، وتداخل ثقافي، واستحواذ ثقافي، وذكاء ثقافي، وتفاعل ثقافي، وتنوع ثقافي، وتثاقف ومثاقفة.

يكتسب هذا البحث أهميته وقيمته في الوقوف بالتفصيل على الفوارق والتقاطعات التي تحد شبكة هذه مفاهيم هذه الاصطلاحات، وإن اقتصرنا على دراسة خمسة نماذج، مع إعطاء بعض الأمثلة على مجالات استعمالاتها، وحالات العلاقات الإنسانية التي يتطابق فيها استعمالها من عدمه، كما تكمن أهميته في ترجمة تعاريف بعض المفاهيم التي تكاد لا يُتحدث عنها في المصادر العربية، ونقلها من المصادر الغربية عن طريق الترجمة، سواء من اللغة الإنجليزية أو الإسبانية، وهو الأمر الذي لم تشر إليه الدراسات **السابقة** على المستوى العربي؛ حيث تم الحديث عن هذه المفاهيم بصيغة منفصلة. تنطلق هذه الدراسة من فرضية مفادها تعدد المصطلحات التي يستعملها الباحثون في الميدان الثقافي أثناء وصفهم للعلاقات التي تربط بين الدول والأمم، الشيء الذي يمنحهم مساحة أكبر من الاختيارات، بينما، في المقابل، يلقي بعض اللبس على القراء يتعلق أساسا بصعوبة معرفة ما إذا كان المصطلح الجديد يختلف عن سابقه أم يترادفان.

استعانت هذه الدراسة، في محاولة مقاربة هذا الموضوع، بمقاربات منهجية تمثلت في المنهج التحليلي لقراءة سر هذا التعدد والتنوع في توليد المفاهيم المرتبطة بحقل الثقافة، والمنهج المقارن لرصد معظم الاختلافات والنقط التشابه والتلاقي بينها، كما أخذت من المقاربة التاريخية للحديث تاريخ ظهور كل مفهوم على حدة، وكذلك المقاربة الموضوعاتية لتمحيص موضوع كل مفهوم، ومحاولة تحديد أبعاده وحدوده التي يتقاطع فيها مع المفاهيم الأخرى.

من الدراسات السابقة التي لامست موضوعنا واقتربت منه نشير إلى دراسة لخالد خواني بعنوان "مفاهيم الثقافة والمصطلحات المرتبطة بها" صدرت ضمن مجلة "القارئ للدراسات الأدبية والنقدية

واللغوية، المجلد 04، العدد 03، سبتمبر 2021م، حاول خلالها التعرض لمختلف مفاهيم الثقافة والمصطلحات المرتبطة بها والمتداولة عند أهم المفكرين الذين تناولوها بإسهاب محاولين التقريب بين هذه المفاهيم الخاضعة للتخصص وللزاوية التي ينظر من خلالها كل مفكر. ومقال لعبد الرحمان كعواش بعنوان الحضارة والثقافة: المفهوم والظاهرة، أوجه التشابه والتقاطع والاختلاف، صدر ضمن المجلد 11، العدد 1، في مجلة رفوف الجزائرية، 2023م، استعرض فيه صاحبه أوجه الاختلاف والتلاقي والتقاطع التي تشكلت من خلال الاستخدام الواسع لمفهومي الثقافة والحضارة في مختلف حقول المعارف الإنسانية والأدبية والفلسفية، وتحديد طبيعة العلاقة بينهما، في حين نجد الباحث المغربي محمد محمد الخطابي، يسلط الضوء في كتابه: أمريكا الجنوبية: الوجه والقناع، أضواء مثيرة على ماضي وحاضر العالم الجديد، أياديف للطباعة والنشر، الرباط، ط.1، 2005. ومقالات أخرى منها، "المغرب وإسبانيا: قواسم مشتركة"، جريدة هسريس الإلكترونية، الأربعاء 13 أبريل 2016، على مجموعة من القواسم الثقافية المشتركة بين المغرب وأمريكا اللاتينية، كما أبرز صالح بن الهادي بن رمضان تشابك المفاهيم الأدبية والثقافية في مقال نشر على موقع الجزيرة تحت عنوان "الأدب والتقاطعات الثقافية"، مبينا كيف تتسرب المفاهيم الثقافية إلى الميدان الأدبي، وتتقاطع مع ما سمي بالجغرافيا الشعرية أو جغرافيا البوطيقا، من خلال وصف الطبيعة والنجوم والأمطار والرياح، وكذا الغطاء النباتي والصحراء وغيرها...

تتميز دراستنا عن هذه الدراسات، من جهة، في كونها تعرض مفاهيم المصطلحات التي سبق ذكرها، وتحدد الفوارق بينها، ومجال استعمالاتها، كما هو الحال مع "المشترك الثقافي"، والتداخل الثقافي"، من خلال المثالين المتعلقين بجانب من المشترك الثقافي بين المغرب وأمريكا اللاتينية، والتداخل الثقافي بين الفرس والعرب.

أما عن بناء هذه الدراسة،_فقد تم قسيمها إلى مقدمة عامة تطرقنا فيها إلى مفهوم "الثقافة"، وتطورها عبر الزمن، وأربعة مباحث أساس، المبحث الأول: المشترك الثقافي. المبحث الثاني: التثاقف والمثاقفة. المبحث الثالث: التداخل الثقافي. المبحث الرابع: التمثيل الثقافي، ثم اختتمت الدراسة بخلاصات ونتائج.

المبحث الأول: المشترك الثقافي

لقد حظي مفهوم الثقافة بدراسات غزيرة من زوايا نظر الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع، سواء في السياق الغربي أو السياق العربي الإسلامي، وعرف تطورا كبيرا عبر التاريخ، ويصعب الإحاطة به من كل الجوانب نظرا لزئبقيته. في المقابل، فإن صفة "ثقافي" استعملت في سياقات مختلفة، منها التعددية الثقافية، والتناقل الثقافي، والمشترك الثقافي...

أما المشترك الثقافي فبدأ استعماله للدلالة على مجموعة من الأشياء والروابط المشتركة بين الجماعات والأمم. ويتشكل هذا المفهوم (المشترك الثقافي) من مفردتين؛ وهما: "المشترك، اسم مفعول، والصفة "ثقافي". ومن بين المدلولات اللغوية للفظة "المشترك"، نذكر":

"اسم مفعول من اشترك/ اشترك في. مشترك: ذو ملكية مشتركة. عمل مشترك: عمل يساهم فيه العديد من الناس. حياة مشتركة: جماعية. عمليات مشتركة: عمليات حربية تشترك فيها عدة جيوش. ضمان مشترك: نوع من الارتباط الاجتماعي بمؤسسة نظير مبلغ من المال لضمان التعويض عند الكوارث أو الوفيات. لفظ مشترك: له صيغة واحدة وتشرك فيه معان كثيرة. صديق مشترك: صديق لعدد من الأصدقاء المصلحة المشتركة. بلاغ مشترك: بلاغ يعبر عن آراء متفق عليها ما بين فريقين أو رئيسي دولتين. المشترك اللفظي(لغ) اللفظ الواحد الذي يدل على أكثر من معنى كالعين، فإنها تطلق على عين الماء، والعين المبصرة، وتطلق مجازا على الجاسوس" (عمر، 2008، ص 1195).

لم يحظ مفهوم "المشترك الثقافي" باهتمام المفكرين كما حظيت به مفاهيم أخرى تنتمي لدائرته، مثل "المثاقفة"، "والحوار الثقافي"، والتداخل الثقافي" و"التثاقف". ومرد ذلك أنه حديث الاستعمال؛ حيث لم يستعمل هذا المفهوم إلا مع نهاية القرن الماضي وبداية القرن الحالي. وارتبط هذا المفهوم بالذاكرة الإنسانية الثقافية (Cultural Memory)، حيث تلعب اللغة دورا مركزيا في تخزين تراكمات ثقافية بين الجماعات والأمم في ذاكرتهم التاريخية المشتركة:

"وتمثل اللغة القاسم المشترك بين المخاطبين لأنها ترتبط بالذاكرة الثقافية بوصفها الذاكرة التي يتم فيها تخزين المشترك الثقافي، وترتبط الثقافة باللغة لأن اللغة تقدم إمكانيات المساهمة والمشاركة في أنشطة التواصل الاجتماعي" (الشاوش، 2021، ص 68).

من التعاريف القليلة لهذا المفهوم نشير إلى تعريف الباحث السوداني مروان أبي بكر، الذي قال إن "المشترك الثقافي هو مجموعة العقائد، والقيم، والقواعد التي يشترك فيها الناس بمختلف انتماءاتهم، في قبولها، والامتثال لها" (أبو بكر، 2015).

في السياق الغربي، تم التطرق إلى مفهوم المشترك الثقافي من طرف عدة مفكرين؛ حيث تناولت "عدة مصادر" هذا المفهوم، وسنركز على أربع منها في هذا المقام، وهي: إيرنست رينان (Ernest Renan)، وبنديكيت أندرسون (Bendict Anderson)، أنتوني سميث (Anthony D. Smith)، وتشارلز تايلور (Charles Tylor).

يقدم إيرنست رينان (Ernest Renan) في كتابه "*ما الأمة؟*" " Waht is a Nation ? In Nation and Narration) مفهوم المشترك الثقافي من خلال النظر إلى الأمة باعتبارها مفهوما قوميا وتاريخيا. ويركز على العوامل التي تجعل الأفراد يشعرون بالانتماء والتماسك ضمن إطار وطني مشترك. إضافة إلى اعتباره أن

"المشترك الثقافي للأمة يتكون من عناصر متعددة مثل اللغة المشتركة، والتاريخ المشترك، والعادات والتقاليد والقيم الثقافية المشتركة" (Renan, 1990, p 55-56). ويشدد رينان على أن المشترك الثقافي ليس مجرد واقع ثابت، بل يتطور ويتغير عبر الزمن مع تطور الأمة وتحولاتها. وبشكل عام، يرى أن المشترك الثقافي يلعب دورا حاسما في تعريف الأمة وتشكيل هويتها القومية، مما يعزز الوعي الجماعي والشعور بالانتماء بين أفرادها.

أما مفهوم المشترك الثقافي عند بنديكيت أندرسون (Bendict Anderson) فيتعلق بفكرة " الجماعة المتخيلة" (Imagined Communities)، كما ذكر في كتابه *"الجماعات المتخيلة: تأملات حول أصل وانتشار القومية"* ويعلل هذه الفكرة بكون "الأمم والمجتمعات القومية تشكيلات اجتماعية متخيلة، بحيث يعتقد أفرادها أنهم ينتمون إلى نفس المجتمع المشترك على أساس تشابه الهوية والثقافة" (Bendict, 1983, p 43-44). وتنشأ هذه الجماعات المتخيلة بفعل الخيال الجماعي للأفراد الذي يتيح لهم الشعور بالانتماء والتعاضد والتماسك على أساس قومي واحد. ويلح أندرسون على أهمية اللغة المشتركة ووسائل الاتصال الجماعية مثل الصحف والكتب ووسائل الإعلام في تعزيز هذا الشعور بالوحدة الثقافية.

أما المشترك الثقافي عند تشارلز تايلور (Charles Tylor) فمرتبط "بالهوية الشخصية والهوية الجماعية معا؛ حيث ينبه إلى أهمية الأصالة باعتبارها قيمة أخلاقية في العالم الحديث، ويؤكد على أن التواصل والتفاعل الثقافي جزئين أساسين من تشكيل هويتنا" (Tylor, 1992, p 181). ومن هذا المنطلق، يتشكل المشترك الثقافي عن طريق التفاعلات والتأثيرات الثقافية التي نتعرض لها في المجتمع، فعندما نستوعب هذه التأثيرات ونعبر عنها، فإننا نسهم في بناء الهوية الثقافية المشتركة. كما أن الاهتمام بالمشترك الثقافي يعزز التفاهم بين الثقافات المختلفة، ويعمل على تعزيز التعايش السلمي والتعاون. وبصيغة أخرى، يرى تايلور أن فهم وتقدير المشترك الثقافي يسهم في تعزيز التواصل والتضامن بين الأفراد والثقافات المختلفة، مما يساعد في بناء مجتمعات أكثر تعددية واحتراما للتنوع الثقافي.

من جهة أخرى، يعرض أنتوني سميث (Anthony D. Smith) في كتابه *"القومية: نظرية وإيديولوجيا وتاريخ"*، (Nationalism: Theory, Ideology, History) "مفهوم المشترك الثقافي في سياق القومية والهوية الوطنية، ويركز على العوامل الثقافية التي تشكل هوية الأمة وتعزز الانتماء الجماعي لمجتمع ما" (Smith, 2010, p 67-68). وهو بذلك، يرى أن المشترك الثقافي يتكون من القيم والمعتقدات والتقاليد والتراث الثقافي المشترك الذي يرتبط بها. كما أنه يشدد على أهمية اللغة المشتركة بكونها أداة للتواصل والتعبير والتماسك الاجتماعي داخل هذه الأمة. وعلاوة على هذا، اعتبر سميث، أنه أحد العناصر الأساسية التي تمكن الأفراد من التعرف على بعضهم البعض باعتبارهم أعضاء في نسق قومي واحد، فلا يمكن للمشترك الثقافي أن يظل

ثابتا غير قابل للتغيير، بل يتغير ويتنوع ويتطور على مر التاريخ تبعا للتغيرات الاجتماعية والثقافية" (Smith, 2010, p 67-68). وبصفة عامة، يؤدي المشترك الثقافي دورا حاسما في تعريف الهوية والقومية، وتعزيز الشعور بالانتماء الجماعي للأمة، خاضعا لتغيرات البيئة الاجتماعية والثقافية.

نستشف مما سبق، أن كل من أنتوني سميث، وإرنست رينان، وتشارلز تلايلور، وأندرسون، يربطون المشترك الثقافي بمدى الشعور بالهوية والوطنية داخل الأمة، ومدى التناغم والتواصل والاتفاق على العادات، والتقاليد، واللغة بين الأفراد والجماعات، باعتبارها عناصر أساسية في تشكيل وبناء مفهوم المشترك الثقافي.

إذا أخذنا حالة المغرب وأمريكا اللاتينية كمثال على مفهوم المشترك الثقافي، نجد أنهما لم يستعمر بعضهما البعض، ولم يفرض أحدهما ثقافته على الآخر قسرا، وإنما اشتركا في تراكمات ثقافية انطلاقا من الماضي المشترك، وهو الأندلس سابقا، وإسبانيا حاليا، وعبر الهجرات العربية إلى العالم الجديد، وخاصة تلك المتعلقة بالمهاجرين الذين عبروا المغرب في اتجاه أمريكا اللاتينية، قادمين من الأندلس/ إسبانيا حاملين كل ما اكتسبوه من حرف وتقنيات في الزراعة، وفي الهندسة والمعمار، والفنون، والفكر:

"فخلال الوجود العربي الإسلامي الذي استمر في بعض المقاطعات الإسبانية نحو ثمانية قرون تجاوب الفكرُ العربي النير مع الفكر الإسباني الخلاق، وانصهرا معا في بوتقة متسامحة متحررة وأنتجت حضارة باذخة وثقافة راقية نعمَ فيها الفكر بحريته، وامتد إشعاعه إلى ما وراء شبه جزيرة إيبريا من أمصار وأقطار، فتقلصت من سماواتها سحب الجمود والركود، وعاش الإنسان فيها وفيما جاورها عيشة راضية رخية" (ابن منصور، 1992، ص 16).

لقد شهدت شبه الجزيرة الإيبيرية هجرتين متعاكستين؛ عرفت الأولى انتقال المغاربة إلى الجزيرة المذكورة أيام الحكم الإسلامي الذي دام زهاء ثمانية قرون، وانصهارهم مع الإسبان، إذ تركوا بصماتهم الحضارية والثقافية هناك. أما الهجرة الثانية، فقد حدثت بعد طرد وإعادة جماعة منهم عنوة إلى المغرب وشمال افريقيا، فيما قصدت جماعة أخرى، محملة بثقلها الثقافي ومهارات فنون عيشها، الأراضي الأمريكية اللاتينية. وخضعت هذه الأخيرة، بدورها، للاستعمار الإسباني مما أثمر عن تراث ثقافي مشترك بين كل هذه الأطراف يشمل مختلف فنون العيش، والآداب والعلوم:

"إن التراث الحضاري المشترك بين إسبانيا وأقطار المغرب خصوصا وبينها وبين البلاد العربية عموما لمادة غزيرة وعنصر متنوع الأشكال مختلف الأحجام، إنه لا ينحصر في العلوم الدينية والفنون الأدبية، بل يشمل كل ما يخطر بالذهن ويوحي به الإبداع وتستوجبه متطلبات الحياة، فيه الفلسفة والمنطق والتصوف، وفيه الطب والصيدلة والنبات والحيوان، وفيه الحساب والجبر والهندسة والفلك، وفيه

العمران والموسيقى والطبخ والزخرف والصياغة والصناعات الدقيقة الرقيقة، وفيه اختراع الأدوات وسن القوانين وتقرير الأعراف التي تضبط التعامل وتنظم التعايش بين الناس في مختلف قطاعات الحياة، وليس في هذا القول من مغالاة، ففي إمكان أي واحد أن يتأكد من ذلك من معاينة الآثار الباقية في قرطبة وإشبيلية وغرناطة، أو بالاطلاع على طرق توزيع المياه الموروثة عن المسلمين بمقاطعة كتالونيا، أو بمراجعة الكتب التي ألفها المسلمون الأندلسيون والمغاربة في كل باب من أبواب العلم، ووجه من وجوه المعرفة" (ابن منصور، 1992، ص 16).

من الطبيعي، إذن، أن تنتج حركية الإنسان وانتقاله من مكان إلى آخر، جراء الهجرات والترحيل القسري، عن اكتسابه ثقافات جديدة باعتبارها ثمرة الانصهار والتلاقح الذي حصل بين ثقافته السابقة، وثقافة أهل البلد الجديد الذي وصل إليه، واحتك بناسه، وعاشرهم، مؤسسا بذلك، لبناء حضاري متناسق:

"إذا تتبعنا جذور دينامية التداخل الثقافي بين طرفين أو أكثر فسنجدها في أعماق الذات الإنسانية، تحفز الإنسان على الحركة والتفاعل وإنتاج "ثقافة مشتركة" هي محصول تفاعله مع الطرف الآخر أو الأطراف الأخرى، الأمر الذي يؤدي إلى تنشيط التوليد الثقافي، وتبادل الدلالات والأفكار والمعطيات المعنوية كلها. وكلما تحققت هذه الأهداف استمر العطاء والإبداع الإنساني فيكتمل نضج "الثقافة المشتركة" عندما تنجح في تأسيس بناء حضاري منسجم" (يلوح، 2014، ص 35).

يعد المعمار وجها من أوجه المشتركات الثقافية بين المغرب وأمريكا اللاتينية، بحيث إن مقدار التشابه بين المعمار الإسلامي (المغربي والأندلسي) والمعمار الأمريكي اللاتيني ينكشف للعيان بصورة واضحة. ويكفي أن نلقي نظرة على شكل المعمار الذي كان سائدا في المغرب والأندلس ونقارنه بالمعمار المتواجد في أمريكا اللاتينية ليتضح لنا مدى التشابه بين الجانبين. وتساءل الباحث المغربي محمد محمد الخطابي عن سر هذا التشابه:

"وهناك وثائق تؤكد هذه الحقائق التاريخية، فكيف والحالة هذه ألا يحمل الأسبان الذين هاجروا إلى العالم الجديد "هذا التأثير"؟ بل إنّ هناك من المسلمين المغلوبين على أمرهم من الموريسكيين مَنْ هاجر مع أفواج المهاجرين الإسبان، وإلاّ من أين جاءت هذه الدُّور، والقصور ذات الباحات، والسّاحات، والنافورات، والشبابيك المشربية العربية التي بنيت في العديد من مدن أمريكا اللاتينية..؟ ومن أين هذه الأقبية والأقواس العربية؟ بل والأبعد من ذلك حتى الكنائس التي كانوا يبنونها غداة وصولهم كان يظهر فيها الأثر العربي والإسلامي بوضوح، واستعمل بعضهم الخطّ العربي المحتوي على أشعار، وحِكم، وآيات قرآنية اعتقاداً منهم أنّ كلّ ذلك كان من علامات الزّينة، والرّونق، والتنميق في البيوتات الكبرى والقصور في

إسبانيا، وتعلو وجه المرء (العربي المسلم) ابتسامة ممزوجة بالرضى والمرارة معا عندما يجد بعض تلك البلاطات أو الرخامات أو الزليج وقد وضعت مقلوبة" (الخطابي، 2005، ص 2-28).

يتوضح ذلك أكثر فيما أشارت إليه الباحثة المكسيكية إكرام أنطاكي (Ikram Antaki) في كتابها "الثقافة العربية أو الثقافة الثالثة" (La tercera cultura,.) إلى تواجد تشابه مدهش بين الصور الفتوغرافية في العدوتين؛ إذ أخذت صورا لقصور، وصوامع ومساجد توجد في إسبانيا وشمال إفريقيا، وقارنتها بصور بعض القصور والكنائس والتي تتوزع تقريبا على مختلف دول أمريكا اللاتينية، مشيرة إلى أن اللقاء المسمى بين "ثقافتين"، إسبانيا ومستعمراتها، هو في الحقيقة كان بين ثلاث ثقافات، مضيفة الثقافة العربية. وتساءلت الباحثة عن سبب عدم ذكر الجذور العربية والإسلامية للثقافة المكسيكية، والاكتفاء بالإشارة إلى الجذور الإسبانية:

"وهكذا فإن كتاب "الثقافة الثالثة" هو كتاب ثقافة وفن يضم العديد من الصور التي تقدم الدليل على الغاية من وضعه من غير استعمال خطاب مضخم. إنه كتاب يعالج تأثير العرب في المكسيك، وبالخصوص في ميدان المعمار، وتقول المؤلفة في ذلك: "الحديث لا ينقطع عن التأثير الإسباني وعن التأثير الأسباني المكسيكي ويكاد لا يذكر شيء عن الجذور الإسلامية العربية التي هي في الواقع أصل هذا التأثير" (الخطابي، 2005، ص 31).

كما أن هناك ثقافة مشتركة بين الجانبين تغطي كل المجالات تقريبا من لغة وموسيقى ومعمار وأساليب زراعية وخيول... ويتقاطع مفهوم "المشترك الثقافي" مع"التداخل الثقافي"، في عدة سياقات، إلى درجة الترادف التام، والتعبير عن المدلولات نفسها تقريبا، كما سنبين ذلك.

المبحث الثاني: التداخل الثقافي

تتعدد المصطلحات المتداخلة في حقل "ثقافة"، وتكاد لا تختلف فيما بينها إلا في تفاصيل دقيقة، مثل "التبادل الثقافي" والحوار الثقافي، وغيرهما كثير. وقد اخترنا الحديث عن هذا المصلح، نظرا لحدوث نوع من "التداخل الثقافي" بين الثقافة المغربية الأمازيغية-العربية والإسلامية والأندلسية، من جهة، والثقافة الإسبانية والأمريكية اللاتينية، من جانب آخر.

أما من الناحية اللغوية، يحمل لفظ "التداخل" مجموعة من المعاني، نذكر بعضا منها كما جاء في معجم تاج العروس:

تَداخَلَ: (فعل)

تداخلَ / تداخلَ في يتداخل، تداخُلاً، فهو مُتداخِل، والمفعول مُتداخَل للمتعدّي

تَدَاخَلَهُ الشَّكُّ فِيمَا جَرَى: خَامَرَهُ، دَاخَلَهُ. تَدَاخلَتِ الأَسْلاَكُ فِيمَا بَيْنَهَا: دَخَلَ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ. تَدَاخَلَتِ الأُمُورُ: اِلْتَبَسَتْ، تَشَابَهَتْ، اِخْتَلَطَتْ. تَدَاخَلَتِ الأشياءُ: داخلت، تداخل في الموضوع: تدخّل، دسّ نفسَه فيه

تداخل في شئونه" (الزبيدي، 2001، ص 259). وجاء في لسان العرب التداخل بمعنى التشابه والالتباس، "وتداخل الأمور: تَشابُهها والتباسُها ودخولُ بَعْضِهَا فِي بَعْض" (ابن منظور، 1414، ص 243).

من سمات "التداخل الثقافي" أنه فعل ناتج عن تراكمات ثقافية عبر الزمن، بسبب التجارة، والهجرات المتتالية، ومن دون نيات وقصديات مسبقة، كما أنه خال من الإيديولوجيات المبطنة. ويعرفه المفكر المغربي محمد عابد الجابري بالقول:

"التداخل الثقافي مفهوم محايد، لا يحمل أي بطانة إيديولوجية، لأنه يعبر، من دون انحياز، ومن دون الانخراط في أي صراع مهما كان، عن واقع تاريخي جرى رصده كما هو من دون تمويه ولا تنويه، على مر العصور، نوع من الاتصال والتداخل بين الثقافات الموجودة في عصر معين أو المترابطة بفعل الزمن، وكان هذا التداخل يحدث ببطء في الغالب، وغالبا ما كان لا يتعدى مستوى الخلط والمزج، ونادرا ما أدى إلى اندماج كلي أو إلى مركب جديد. كان هذا التداخل يجري من دون تخطيط مسبق عبر الأسفار والتجارة والحروب التي لم تكتس طابع الغزو الثقافي" (الجابري، 2006، ويلوح، 2004، ص 20، 21).

مثل الجابري لمفهوم التداخل الثقافي بنتاج الثقافة العربية والفارسية، إذ رغم أن العرب هم من احتل الفرس، إلا أنهم لم يفرضوا ثقافتهم على الطرف المغلوب، بل على العكس من ذلك، اقتدى الغالب بثقافة المغلوب:

"كما لاحظ ابن خلدون بحق، فإذا كان الظاهر هو أن المغلوب يقتدي بالغالب، فقد يحدث العكس كما حصل بين العرب والفرس. لقد تغلب العرب زمن الفتوحات على الفرس عسكريا وسياسيا، لكن الفرس لم يقلدوا العرب حضاريا، بل العكس هو الذي حصل، أي إن الغالب هو الذي قلد المغلوب. وعندما تنبه العرب إلى ذلك وصار المغلوب ينتفض ويحاول استرجاع السيادة السياسية عن طريق "الثقافة" (الحركة الشعوبية وحرب "الكتب"... إلخ)، برز عنصر ثالث هو الثقافة اليونانية التي انفردت بحقلين ثقافيين مهمين: العلم والفلسفة، فحصل نوع من التداخل الثقافي، غني وقوي، بين ثلاثة أطراف: العرب والفرس والسريان (حاملي الثقافة اليونانية" (الجابري، 2006، ص 21).

أشار رشيد يلوح إلى مجموعة الأسماء العربية والفارسية التي أسهمت في هذا التداخل الثقافي بين الحضارتين، خاصة في مجالات الفكر والآداب والعلوم:

"من تلك الأسماء التي عمقت صيرورة التداخل الثقافي بين الطرفين العربي والفارسي، نذكر: عبد الله بن المقفع وسيبويه والصاحب بن عباد وابن مسكويه وأبو حيان التوحيدي وأبو علي ابن سينا وفخر الدين الرازي والإمام أبو حنيفة وجار الله الزمخشري وابن جرير الطبري وبشار بن برد وأبو الفرج الأصفهاني وعمر الخيام والسهروردي وابو حامد الغزالي وفريد الدين العطار وجلال الدين الرومي وسعدي الشيرازي وحافظ الشيرازي

وابن بطوطة. وقدم كل واحد من هؤلاء مساهمة ثقافية تداخلية، تحمل بصمة شخصيته وبيئته الجغرافية والاجتماعية والزمنية، الأمر الذي ضمن الاستمرار والحيوية لصيرورة التداخل" (الجابري، 2006، ص 25).

يُستشف مما سبق، أن التداخل الثقافي يحمل مبدأ السلمية، ويبتعد بذلك عن أي هيمنة أو تعسف لثقافة على حساب أخرى. ويبتعد بهذا المعنى عن مفهوم "التثاقف"، ويقترب من مفهوم "المثاقفة".

المبحث الثالث: التثاقف والمثاقفة

برز مفهوم التثاقف Acculturation)، مع الأنثروبولوجيين في الدراسات الحديثة باعتباره ناتج تلاقي أو احتكاك ثقافة بأخرى تختلف عنها كليا. وابتدعه الأنثروبولوجي الأمريكي بويل (Powel):

"يبدو أن الاسم "التثاقف"، بما هو اسم، كان قد ابتدع، منذ عام 1880، من قبل ج. و. بويل (J. W. Powel) عالم الأنثروبولوجيا الأمريكي الذي كان يسمي هكذا تحول أنماط حياة المهاجرين وفكرهم في تماسهم مع المجتمع الأمريكي. ولا تعني الكلمة مجرد "نزع للثقافة" (كوش، 2007، ص 92).

يؤدي اتصال ثقافتين مختلفتين بسبب الهجرات الواسعة، أو استعمار دولة لأخرى، إلى تغيرات في الأنماط الثقافية السائدة في إحديهما. وأشار كل من ميلفين (Melvin Herskovits) وزميليه لينتون R. Linton ورافيلد R. Refield إلى أن "التغير الثقافي الذي ينشأ حين تدخل جماعات من الأفراد الذين ينتمون إلى ثقافتين مختلفتين في اتصال مباشر ومستمر، ما ينتج عنه تغييرات في الانماط الثقافية الأصلية السائدة في إحداهما أو فيهما معا... ويكون ذلك الاتصال نتاج أعمال قهرية تعود إلى استعمار دولة لدولة أخرى أو نتاج "هجرات سكانية واسعة" (نفوسي، 2006، ص 38).

يتداخل مصطلح "التثاقف" مع مصطلح "التغيير الثقافي" الذي استعمله علماء الأنثروبولوجيا البريطانيين، ويصعب التمييز بينهما، باعتبار أحدهما ينجر من الآخر، كما أشار دنيس كوش: "إن التثاقف هو مجموع الظواهر الناتجة من تماس موصول ومباشر بين مجموعات أفراد ذوي ثقافات مختلفة تؤدي إلى تغيرات في النماذج (Patterns) الثقافية الأولى الخاصة بإحدى المجموعتين أو كليهما... يجب التمييز بين التثاقف و"التغير الثقافي"، وهو التعبير المستعمل لدى علماء الأنتروبولوجيا البريطانيين خاصة، إذ إن هذا لا يمثل إلا وجها من أوجه ذاك. وبالفعل، يمكن أن ينجر التغير الثقافي أيضا عن أسباب داخلية. ويفضي استخدام الكلمة نفسها لتعيين ظاهرتي التغير الداخلي والتغير الخارجي إلى التسليم بأن التغيرين يخضعان إلى القوانين نفسها، وهو ما يبدو ضعيف الاحتمال" (كوش، 2007، ص 93).

كما أنه لا توجد ثقافة خام لم يمسها أثر خارجي منذ بداية الخلق، ولفهم الثقافة وجب ربطها بالتثاقف، وليس العكس كما كان سابقا:

"بل إن المنظور انقلب: تم الكف عن الانطلاق من الثقافة لفهم التثاقف وأصبح الانطلاق من التثاقف لفهم الثقافة. ما من ثقافة توجد "على حال صافية"، مماثلة لذاتها منذ الأزل، من دون أن يمسها أي أثر خارجي

البتة. إن صيرورة التثاقف هي ظاهرة كونية حتى وإن كانت ذات أشكال ودرجات شديدة الاختلاف" (كوش، 2007، ص 112).

يجرنا الحديث عن التثاقف إلى الحديث عن مفهوم آخر يتداخل معه، ويأخذ مكانه كذلك، أو يعبر عن جزء مما كان يعبر عنه "التثاقف" ويعنيه، ألا وهو "التمازج الثقافي"، وهو مفهوم اقترحه حديثا فرانسوا لابلانتين Francois Laplantine، وألكسيس نوس Alexis Nouss، كما أشار دنيس كوش:

"حديثا، اقترح بعض الكتاب مفاهيم جديدة لتجديد التفكير في العلاقات ما بين الثقافية، كما يشهد مفهوم "التمازج" (Métissage)، منذ مدة، انتشارا كبيرا في العلوم الاجتماعية. وينبئ نجاح الكلمة هذا عن روح العصر، إذ بات التمازج الذي لطالما كان، قبل، مذموما على المستوى البيولوجي وعلى المستوى الثقافي سواء بسواء،ذا رواج، وأصبح المصطلح مستخدما، باستمرار، في وسائل الإعلام والاتصال الإعلاني أو الإشهاري. إن "التمازج الثقافي" في العديد من المصنفات ليس إلا تعبيرا جديدا، أكثر فوضوية، للدلالة عما كان يعنيه "التثاقف"، دلالة كاملة، ولكن بعض المؤلفين يجتهدون في إكساب هذا المصطلح محتوى مفهوميا مخصوصا. هكذا يكون التمازج عند ألكسيس نوس (Alexis Nouss) وفرانسوا لابلانتين (Francois Laplantine) شكلا خاصا من المزج الثقافي يناقض التعارض تجانس/ تنافر. إنه يعرض "طريقا ثالثة" بين توحيد الشكل المتصاعد والتأكيد الشديد على الخصوصيات. إن التمازج، على العكس من التآلف، هو تركيب تحتفظ فيه مكوناته على تمامها" (كوش، 2007، ص 117).

يتقاطع مفهوم "التثاقف (Acculturation)، كذلك، مع مفهوم "المثاقفة" (Transculturation)، وكلاهما يدخل ضمن ما يعرف بالتناقل الثقافي. فالمثاقفة تتسم بالإيجابية، وبالاحترام المتبادل، عكس "التثاقف" الذي يقوم على نوع من القوة وعدم التكافؤ:

" إلى جانب المثاقفة، يتحدث الأنثروبولوجيون عن التثاقف (Acculturation)الذي يدل على التداخل الحاصل بين مختلف الثقافات تأثيرا وتأثرا، ويحمل التثاقف شحنة سلبية، إذ يتأسس على شرط المركزية الثقافية لقطب معين، وينبني على الهيمنة ويرتبط بالصراع. والتثاقف علاقة عمودية بين المهيمنين والمهيمن عليهم، تتم وفق شرطي القهر والاستلاب. القاسم المشترك بين المثاقفة والتثاقف هو النقل أو التناقل الثقافي، وهو ظاهرة تغطي جميع الحقول ويمتد من أصغر خلية وهي العائلة، إلى خلية أكبر وأعقد وهي المجتمع، وبين الأخير ونظرائه من المجتمعات الأخرى. وتتفاعل فيه مجموعة من مواضيع التراث اللامادي القديم والحديث، وبذلك تكون عملية التناقل غير مرتبطة بالفرد فقط، ولكنها عملية خفية لحركة شيء أو فكرة أو مهارة من شخص نحو آخر أو آخرين، تهم المجتمعات وتعاقب الأجيال" (علاش، 2019، ص 16، 17).

يظهر الفرق واضحا بين مفهومي "التثاقف" و"المثاقفة"، كما رأينا. وفي ظل تقاطع مفاهيم المصطلحات الثقافية وفوضى المصطلح، يصعب تلمس محددات واضحة للتمييز بينها. وما إن يظهر مفهوم عند مفكر ما حتى

يبرز مفهوم مشابه له في أعمال مفكر آخر، في نوع من التنافسية الخاصة باختلاق وتوليد المفاهيم الجديدة، حتى وإن كانت تلك المفاهيم تحمل المدلول ذاته. وفي هذا السياق، سيبرز مفهوم "التمثيل الثقافي" ليعوض مفهوم "التثاقف" أو ينوب عنه على الأقل.

المبحث الرابع: التمثيل الثقافي

ظهر مصطلح "التمثيل الثقافي" (La représentation culturelle) لتعويض مفهوم التثاقف، أو لينوب عنه على الأقل، خاصة مع ميشال فوكو وإدوارد سعيد: "انفتح مصطلح التمثيل على الدراسات الثقافية ليحمل معنى التثاقف. ومنه يدخل الدراسات الثقافية ليصبح تحت اسم "التمثيل الثقافي"، وتوسع على يد الباحثين في هذا المجال. على سبيل المثال ميشال فوكو، إدوارد سعيد" (عطا الله، والديب، 2021، ص 1090).

يرتبط مفهوم "التمثيل الثقافي"، إذن، بمفهوم "التثاقف"، ويعبران عن معاني متقاربة، كما يعد، من الجانب اللغوي، فعلا ترميزيا يعكس الواقع. وأما في الدراسات الثقافية، فيترك أثرا تمثيليا للواقع، أي ذلك الأثر الذي يعكسه الواقع في نفس الكاتب، مما يجعل هذا الأخير يبوح بانطباعاته في النص المبتدع:

"التمثيل الثقافي مصطلح فلسفي يوحي، إذ يستخدم في علم العلامات، بأن وظيفة اللغة أن تنوب على الأشياء أي "إن المعنى الشائع لمفهوم التمثيل يعني مجموعة من العمليات التي من خلالها ترمز الممارسات الدالة أو تصف موضوع أو ممارسة في العالم الحقيقي ومن ثم، فالتمثيل فعل ترميزي يعكس الواقع". إلا أنه بالنسبة للدراسات الثقافية، لا يعد التمثيل مجرد انعكاس في شكل رمزي لأشياء الواقع، بل التمثيلات مؤسسة لمعنى ما تدعي أنه بديل، بمعنى أن التمثيلات لا تنطوي على مطابقة بين العلامات والأشياء بل_تنشئ أثرا تمثيليا للواقع. وبتعبير آخر فإن التمثيل في الدراسات الثقافية ليس هو نفسه بمفهومه العام؛ من حيث إن الصورة المستحدثة في النص الإبداعي لا يمكن اعتبارها الواقع ذاته وإنما هي بديل عنه من حيث هي تختلف عن هذا الواقع؛ حيث يحاول الكاتب أن يعدله وفق مزاجه الخاص/ أو رؤيته الذاتية سواء عن قصد أو عن غير قصد؛ ولعل المراد بالقول: "التمثيلات (...) تنشأ أثرا تمثيليا للواقع" هو ذلك الأثر الذي يعكسه الواقع في نفس الكاتب مما يجعل هذا الأخير يعكس انطباعه في النص المبتدع" (عطا الله، والديب، 2021، ص 1090).

كما أن "التمثيل الثقافي" يحمل بين طياته القوة والاستبداد، حيث يتم اللجوء لتمثيل الآخر وثقافته بغية السيطرة عليه واكتساح ثقافته وإعادة تشكيلها لما يخدم مصالح الطرف الغالب، وذلك من خلال عدة آليات من بينها اللغة:

"إن مفهوم التمثيل يرتبط عادة بالقوة، فهو عند ميشال فوكو آلية من آليات الهيمنة والإخضاع والضبط. لهذا تلجأ الثقافة عادة لتمثيل الآخر وثقافته بغية السيطرة عليه، ومن آليات التمثيل الثقافي تحقير

الآخر بتنميطه والسيطرة على ممكناته بإعادة بنائه ثقافيا، والتمثيل إخضاع إيديولوجي له دوافعه وأشكاله المختلفة؛ وهذا لا يعني أن التمثيل يقتصر على القوة والسيطرة بل يوجد تمثيل آخر مهم يتم باللغة والبلاغة، فمن خلال ميشال فوكو أن التمثيل علامة من علامات القوة والسيطرة إلا أنه تجاوز ذلك إلى أمر مهم ويتم ذلك باللغة والبلاغة" (عطا الله، والديب، 2021، ص 1091).

لا ينطبق التمثيل الثقافي على الحالة المغربية - الأمريكية اللاتينية، باعتبار ألا أحد منهما قام باستعمار الآخر، وباعتبار أن الثقافة المشتركة بينهما تمت عبر إسبانيا والأندلس، أو بسبب الهجرات المباشرة للمغاربة تجاه العالم الجديد، ما جعلهما يبحثان عن تطوير هذه الأواصر الثقافية المشتركة رغبة في الارتقاء بعلاقاتهما إلى مستويات أفضل. على الرغم من وجود بعض الكتاب الأمريكيين اللاتينيين الذين زاروا المغرب في بداية القرن العشرين بالتزامن مع فترة استعماره من طرف فرنسا وإسبانيا، ونقلوا بعض الصور المسيئة عنه بغية تبرير استعماره. ومن نماذج هذه الصور نذكر، على سبيل المثال، ما نقله الرحال الأرجنتيني روبيرتو أرلت Roberto Arlt حين بُعث مراسلا صحافيا لجريدة إيل موندو El Mundo عام 1935 إلى إسبانيا والمغرب. فبمجرد حطه بمدينة طنجة المغربية بدأ في وصف ما حوله:

"في مستهل الفصل الأول من الكتاب سلط أرلت الضوء على معاناة السائح الأجنبي الذي ما إن تطأ قدماه أرض الميناء بطنجة حتى يجد نفسه محاصرا كالفريسة بمجموعة من الكلاب الأدمية على حد وصفه، فالكل يتربص به طمعا في الظفر بنقوده، فهناك الحمالون الذين يرتمون على الحقائب من جهة، وهناك البائعون المتجولون الذين يتعاقبون عليه بدون انقطاع ليحملوه كرها على شراء سلعهم من جهة أخرى، وهناك، أيضا المرشدون السياحيون الذين يطاردونه أينما حل وارتحل كي يرضخ لضغوطاتهم ويسلس لهم القياد" (ظافر، 2019/2018، ص 59).

كما نقل أرلت صورة الأفارقة الفقراء الهمجيين، واللصوص، ومنذ نزوله بميناء طنجة لاحظ هؤلاء وأشار إليهم في أول جملة، كأنه يريد تأكيد تلك الصورة النمطية المنحطة عن الأفارقة التي ينظر إليهم بها الغرب، فوصف مشهدا للموروس، أي المغاربة بنعوتات قبيحة:

"بدأ بالوصول إلى الميناء فوج من السياح. تهب قافلة من الموروس حافية الأقدام، زنوج، رؤوسها محلقة، وشيوخ وأطفال ترسم قفاهم الأوساخ وهم يهرعون نحو الحقائب باحتدام، لدرجة تجعل المسافر يطلب مساعدة الشرطة الأهلية خوفا من خطفهم الحزمات أو شقهم للحقائب وتسرب محتواها على الرصيف" (أرلت، 2019، ص 25).

نعت أرلت الموروس بأقبح الصفات، ونظر إليهم بنظرة الغربي المتعالية. ومن بينها، نذكر: لصوص الجلباب والطربوش، ومتسخون، والزنوج، وسماسرة الفنادق، والحيوانات الضراء، والجراد، وقاطعي الطريق. وهي كلها أوصاف تنم عن تنقيص وتحقير الآخر. يقول في الفصل المعنون ب "طنجة":

"كل هذا الوغد، الملحاح الطفيلي، ذو رائحة الزبدة النتنة يحوم بشكل دائري ولدود حول مائدة السائح كأنهم محللون نفسانيون، لأنهم يستعملون خطة استنزاف السائح، إذ سرعان ما يغيب أحدهم، إلا وقد عوضه أحدهم. وهكذا تمتد العملية إلى ساعات وساعات" (أرلت، 2019، ص 26).

على الرغم من عدم وجود أدلة ملموسة على أن أرلت كان جاسوسا لإسبانيا إلا أن ما نقله من صور قبيحة عن المغاربة والأفارقة كان يخدم نفس توجه الفكر الاستشراقي مع الرحالة الغربيين الآخرين؛ أي تمثيل الآخر في صور التخلف والهمجية لتبرير استعماره والسيطرة عليه.

النتائج:

في ختام البحث، يمكن تسطير النتائج الآتية:

-أن مصطلحات من مثل المشترك الثقافي، والتثاقف والمثاقفة، والتمثيل الثقافي، والتداخل الثقافي، وغيرها من المفاهيم، يلف بعضها الكثير من اللبس والتشابه والاختلاف.

- أن مصطلح المشترك الثقافي قليل الاستعمال في المراجع العربية، وحين بحثنا عن مفهوم له لم نجد إلا الباحث السوداني مروان أبي بكر الذي اعطى تعريفا له. بينما في المقابل، نجد كثير من الباحثين الغربيين الذين أعطوا تعريفا لهذا المصطلح، ووقفنا على بعضهم، أمثال إيرنست رينان (Ernest Renan)، وبنديكيت أندرسون (Bendict Anderson)، أنتوني سميث (Anthony D. Smith)، وتشارلز تايلور (Charles Tylor).

- أن التداخل الثقافي يحمل مبدأ السلمية، ويبتعد بذلك عن أي هيمنة أو تعسف لثقافة على حساب أخرى. ويبتعد بهذا المعنى عن مفهوم "التثاقف"، ويقترب من مفهوم "المثاقفة".

- مصطلح التثاقف (Acculturation) يتداخل مفهومه مع عدة مصطلحات أخرى، مثل التمازج الثقافي، ويتقاطع مع مصطلح التغيير الثقافي وإن كانا لا يعنيان نفس الشيء، كما يتقاطع مفهوم "التثاقف، كذلك، مع مفهوم "المثاقفة" (Transculturation)، وكلاهما يدخل ضمن ما يعرف بالتناقل الثقافي. فالمثاقفة تتسم بالإيجابية، وبالاحترام المتبادل، عكس "التثاقف" الذي يقوم على نوع من القوة وعدم التكافؤ.

المراجع:

أرلت، روبيرطو. (2019). *انطباعات مغربية* (رندة الجبروني، ترجمة؛ ط.1)، مكتبة الأعمدة للنشر.

أبو بكر، محمد مروان. (2015). *المشترك الثقافي بين الشعوب*، إصدارات منتدى النهضة والتواصل الحضاري.

بينيت، طوني، وغروسبيرغ، ولورانس، وميغان، موريس. (2010). *مفاتيح اصطلاحية جديدة: معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع* (سعيد الغانمي، ترجمة؛ ط.1)، المنظمة العربية للترجمة.

الخطابي، محمد محمد. (2005). *أمريكا الجنوبية: الوجه والقناع، أضواء مثيرة على ماضي وحاضر العالم الجديد* (ط.1). أياديف للطباعة والنشر.

خواني، خالد. (2021). مفاهيم الثقافة والمصطلحات المرتبطة بها، *مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية*، *04*(03)، 81-95.

الزبيدي. (2001). *تاج العروس* (ط.1). وزارة الإرشاد والأنباء.

الشاوش، حسين المختار محمد. (2021). *الإعلام الجديد والهوية الثقافية أي علاقة وأي تأثير؟*، المؤتمر العلمي الثالث لكلية الآداب، جامعة الزاوية 12-13، ليبيا.

ظافر، عزالدين. (2019/2018). رحلة أرجنتيني إلى مدينتي طنجة وتطوان، *مجلة الجمعية المغربية للدراسات الإيبيرية والإيبيروأمريكية "فضاءات"*، (2)، 50-73.

عطا الله، عبد الباقي، وحمامة الديب. (2021). التمثيل الثقافي: قراءة في المفهوم، *مجلة علوم اللغة العربية وآدابها*، *13* (2)، 10-90.

علاش، صباح. (2019). *التناقل الثقافي: الحرف التقليدية النسائية بالريف نموذجا*، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية.

عمر، أحمد مختار. (2008). *معجم اللغة العربية المعاصرة* (ط.1). عالم الكتب.

فهيم، حسين. (1986). *قصة الأنثروبولوجيا: فصول في تاريخ علم الإنسان*، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

كوش، دنيس. (2007). *مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية* (منير السعداني، ترجمة؛ ط.1)، المنظمة العربية للترجمة.

ابن منصور، عبد الوهاب. (1992). *التراث الحضاري المشترك بين المغرب واسبانيا*، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية.

ابن منظور. (1414). *لسان العرب* (ط.3). دار صادر.

ابن نبي، مالك. (1984). *مشكلة الثقافة* (عبد الصبور شاهين، ترجمة؛ ط.4)، دار الفكر.

نفوسي، لمياء مرتضى. (2020). *دور الشعر الملحون في التنمية الثقافية دراسة سوسيو-أنتربولوجية*، المنظمة العربية للترجمة.

يلوح، رشيد. (2014). التداخل الثقافي العربي الفارسي من القرن الأول إلى القرن العاشر الهجري، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

References

Abū Bakr, Muḥammad Marwān. (2015). *al-mushtarak al-Thaqāfī bayna al-shuʿūb,* Iṣdārāt Muntadá al-Nahḍah wa-al-Tawāṣul al-ḥaḍārī, (in Arabic).

al-Khaṭṭābī, Muḥammad Muḥammad. (2005). *Amrīkā al-janūbīyah: al-Wajh wa-al-qināʿ, Aḍwāʾ muthīrah ʿalá Māḍī wa-ḥāḍir al-ʿālam al-jadīd* (1st ed.). ayādyf lil-Ṭibāʿah wa-al-Nashr, (in Arabic).

ʿAllāsh, Ṣabāḥ. (2019). *altnāql al-Thaqāfī : al-Ḥarf al-taqlīdīyah al-nisāʾīyah bi-al-rīf namūdhajan*, Manshūrāt al-Maʿhad al-Malakī lil-Thaqāfah al-Amāzīghīyah, (in Arabic).

al-Shāwish, Ḥusayn al-Mukhtār Muḥammad. (2021). *al-Iʿlām al-jadīd wa-al-huwīyah al-Thaqāfīyah Ayy ʿalāqat wa-ayyu Taʾthīr?,* al-Muʾtamar al-ʿIlmī al-thālith li-Kullīyat al-Ādāb, Jāmiʿat al-Zāwiyah 12-13, Lībiyā, (in Arabic).

al-Zubaydī. (2001). *Tāj al-ʿarūs* (1st ed.). Wizārat al-Irshād wa-al-Anbāʾ, (in Arabic).

Arlt, rwbyrṭw. (2019). *inṭibāʿāt Maghribīyah* (Randah al-Jabrūnī, tarjamat; 1st ed.), Maktabat al-Aʿmidah lil-Nashr, (in Arabic).

ʿAṭā Allāh, ʿAbd al-Bāqī, wḥmāmh al-Dīb. (2021). al-tamthīl al-Thaqāfī : qirāʾah fī al-mafhūm, *Majallat ʿulūm al-lughah al-ʿArabīyah wa-ādābihā, 13* (2), 10-90, (in Arabic).

Bendict, Anderson. (1983). *Imagined Communities: Reflexions on the Origin and Sparead of Nationalism*, Verso.

Burnett, Eduard Tylor. (1871). *Primitive Culture: Researches Into the Development of Mythology, Philosophy, Religion*, Art, and Custom.

Bynyt, Ṭūnī, wghrwsbyrgh, wlwrāns, wmyghān, Mūrīs. (2010). *Mafātīḥ aṣṭlāḥyh jadīdah : Muʿjam muṣṭalaḥāt al-Thaqāfah wa-al-mujtamaʿ* (Saʿīd al-Ghānimī, tarjamat; 1st ed.), al-Munaẓẓamah al-ʿArabīyah lil-Tarjamah, (in Arabic).

Fahīm, Ḥusayn. (1986). *qiṣṣat al-anthrūbūlūjiyā : fuṣūl fī Tārīkh ʿilm al-insān*, al-Majlis al-Waṭanī lil-Thaqāfah wa-al-Funūn wa-al-Ādāb, (in Arabic).

Ibn Manṣūr, ʿAbd al-Wahhāb. (1992). *al-Turāth al-ḥaḍārī al-mushtarak bayna al-Maghrib wāsbānyā*, Maṭbūʿāt Akādīmīyat al-Mamlakah al-Maghribīyah, (in Arabic).

Ibn manẓūr. (1414). *Lisān al-ʿArab* (3rd ed.). Dār Ṣādir.

Ibn Nabī, Mālik. (1984). *Mushkilat al-Thaqāfah* (ʿAbd al-Ṣabūr Shāhīn, tarjamat; 4th ed.), Dār al-Fikr.

Khwānyy, Khālid. (2021). Mafāhīm al-Thaqāfah wa-al-muṣṭalaḥāt al-murtabiṭah bi-hā, *Majallat al-qārīʿ lil-Dirāsāt al-adabīyah wa-al-naqdīyah wa-al-lughawīyah, 24*(03), 81-95, (in Arabic).

Kūsh, dnys. (2007). *Mafhūm al-Thaqāfah fī al-ʿUlūm al-ijtimāʿīyah* (Munīr alsʿdāny, tarjamat; 1st ed.), al-Munaẓẓamah al-ʿArabīyah lil-Tarjamah.

Nfwsy, Lamyāʾ Murtaḍá. (2020). *Dawr al-shiʿr al-malḥūn fī al-tanmiyah al-Thaqāfīyah dirāsah swsyw-ʿntrbwlwjyh,* al-Munaẓẓamah al-ʿArabīyah lil-Tarjamah, (in Arabic).

Renan, Ernest. (1990). *Waht is a Nation? In Nation and Narration*, edit by Homy k. Bhabha, Routeledge.

Smith, Anthony D. (2010). *Nationalism: Theory*, Ideology, History, Wiley-Blackwell.

Tylor, Charles. (1992). The Ethics of Autenticity, Havard University Press.

ʿUmar, Aḥmad Mukhtār. (2008). Muʿjam al-lughah al-ʿArabīyah al-muʿāṣirah (1st ed.). ʿĀlam al-Kutub.

Ylwḥ, Rashīd. (2014). *al-Tadākhul al-Thaqāfī al-ʿArabī al-Fārisī min al-qarn al-Awwal ilá al-qarn al-ʿāshir al-Hijrī,* al-Markaz al-ʿArabī lil-Abḥāth wa-dirāsat al-Siyāsāt, (in Arabic).

Ẓāfir, ʿIzz. (2018/2019). Riḥlat arjntyny ilá madīnatī Ṭanjah wṭṭwān, *Majallat al-Jamʿīyah al-Maghribīyah lil-Dirāsāt alʾybyryh wālʾybyrwʿmrykyh "Faḍāʾāt"*, (2), 50-73, (in Arabic).

Copyright of Arts for Linguistic & Literary Studies is the property of Thamar University and its content may not be copied or emailed to multiple sites or posted to a listserv without the copyright holder's express written permission. However, users may print, download, or email articles for individual use.